مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 18 العدد: 02 السنة 2026 ص 402 - 422

تاريخ الإرسال: 2026/10/14 تاريخ القبول: 2026/10/16
تاريخ النشر: 2026/11/16

الأطلس اللغوي واللسانيات الجغرافية: دراسة في المفاهيم والمناهج والتطبيقات

Linguistic Atlases and Geolinguistics: A Study of Concepts, Methodologies, and Applications

نجاة بوعام
جامعة تندوف (الجزائر)، nadjat.bouam@cuniv-tindouf.dz

الملخص:

تتناول هذه الدراسة موضوع اللسانيات الجغرافية والأطلس اللغوي بوصفهما من الحقول المعرفية الحيوية في الدرس اللساني الحديث. يهدف البحث إلى تقديم رؤية تحليلية للمفاهيم المؤسسة لهذا الحقل، واستعراض أبرز القضايا المرتبطة بالتنوع الجغرافي للغات، مع تسليط الضوء على مناهج إعداد الأطالس اللغوية وأهميتها في توثيق الظواهر اللغوية. وقد توصل البحث إلى أن التنوع الجغرافي يعد عاملاً محورياً في تفسير التغيرات اللغوية، وأن الأطلس اللغوي يمثل أداة فعالة لرصد الحدود اللغوية واللهجية، كما أظهرت الدراسة أن التراث العربي يحتوي على جذور مبكرة لهذا التوجه، وأن التقنيات الحديثة كالذكاء الاصطناعي تفتح آفاقاً جديدة لتطوير هذا الحقل المعرفي.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات الجغرافية، الأطلس اللغوي، التنوع الجغرافي، اللهجات، نظم المعلومات الجغرافية.

Abstract:

This study examines geolinguistics and linguistic atlases as two significant fields within contemporary linguistic research. It aims to provide an analytical overview of the foundational concepts underlying this discipline, while exploring the major issues related to the geographical variation of languages. The study also highlights the methodologies employed in the compilation of linguistic atlases and underscores their importance in documenting and analyzing linguistic phenomena. The findings indicate that geographical variation constitutes a key factor in explaining language change and variation, and that the linguistic atlas serves as an effective tool for identifying and mapping linguistic and dialectal boundaries. Furthermore, the study demonstrates that the Arabic linguistic tradition contains early intellectual foundations for this approach, while modern technologies, particularly artificial intelligence, offer promising opportunities for advancing geolinguistic research and enhancing the development of linguistic atlases.

Keywords: Geolinguistics; Linguistic Atlas; Geographical Variation; Dialects; Geographic Information Systems (GIS).

المؤلف المرسل: بوعام نجاة، الإيميلnadjat.bouam@cuniv-tindouf.dz

1.مقدمة:

تُعد اللغة ظاهرة إنسانية فريدة، تمثل الوعاء الأهم للتعبير عن الفكر، والجسر الحيوي الذي يربط الإنسان بمحيطه الاجتماعي والثقافي والتاريخي. وهي ليست مجرد نظام من الأصوات والرموز والقواعد، بل هي كائن حي نامٍ، يتفاعل مع مختلف العوامل والظروف المحيطة به، ويتشكل وفقاً لسياقات الزمان والمكان،

ويعكس في بنيته ومفرداته وتركيباته تاريخ المجتمعات وتنوع بيئاتها وتعدد ثقافاتها. وإدراكاً من الدارسين والباحثين لهذه الطبيعة الديناميكية للغة، فقد تنوعت مناهج دراستها، وتعددت المقاربات التي تتناولها، لتشمل جوانبها الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، فضلاً عن جوانبها الاجتماعية والنفسية والتاريخية والجغرافية.

ومن بين هذه المقاربات التي استقطبت اهتماماً متزايداً في العقود الأخيرة، تأتي اللسانيات الجغرافية والأطلس اللغوي، اللذان يمثلان من أهم الحقول المعرفية التي تجمع بين دقة البحث اللساني وشمولية المنظور الجغرافي، وتقعان عند ملتقى علوم اللغة وعلوم الأرض والاجتماع، مما يمنحهما خصوصية منهجية وثراء معرفياً متميزاً. فاللسانيات الجغرافية، أو ما يعرف أيضاً بالجغرافيا اللغوية أو الجيولسانيات، هي ذلك الفرع من فروع اللسانيات التطبيقية الذي يعنى بدراسة اللغة في إطارها المكاني، ورصد التنوع اللغوي واللهجي في علاقته بالامتداد الجغرافي، وتحليل أثر العوامل المكانية في نشوء الظواهر اللغوية وتطورها وانتشارها، وكشف حدودها وتفاعلاتها مع اللغات واللهجات المجاورة.

وقد أدرك الدارسون منذ وقت مبكر أن اللغة لا يمكن فهمها فهماً كاملاً بمعزل عن سياقها الجغرافي، فالمكان ليس مجرد خلفية جامدة تتحرك فيها الظواهر اللغوية، بل هو عامل فعّال ومؤثر في تشكيل هويتها وخصائصها ومسارات تطورها. فالتضاريس، والمناخ، وطبيعة النشاط الاقتصادي، وطرق المواصلات، وأنماط الاستيطان، والتواصل بين المجموعات البشرية المختلفة، كلها عوامل جغرافية تترك بصماتها الواضحة على الخريطة اللغوية لأي منطقة. كما أن حركة القبائل والهجرات البشرية والفتوحات والاستعمار، كلها أحداث تاريخية ذات أبعاد مكانية، كان لها أثر بالغ في توزع اللغات واللهجات، وتداخلها، وتباعدها أو تقاربها، وولادة لغات جديدة أو اندثار أخرى.

وهنا تبرز أهمية الأطلس اللغوي، بوصفه الأداة المنهجية التي تجسد هذه المقاربة على أرض الواقع، فهو ليس مجرد مجموعة خرائط جافة تسجل أسماء اللغات واللهجات، بل هو عمل علمي متكامل، ومنهج بحثي دقيق، يقوم على مسح ميداني شامل للظواهر اللغوية في منطقة جغرافية معينة، وتسجيلها وتصنيفها وتحليلها، ثم تمثيلها على خرائط توضح توزيعها المكاني، وحدود انتشارها، وعلاقاتها التداخلية، وتطوراتها التاريخية. وهو بذلك يمثل أرشيفاً حياً للتنوع اللغوي، ومصدراً قيماً للمعلومات اللغوية والجغرافية والتاريخية والاجتماعية والثقافية، وأداة فعالة للتخطيط اللغوي والتعليمي والسياسي.

تنبثق أهمية هذا الموضوع من كونه يقع في مركز اهتمامات الدرس اللساني المعاصر، ويلبي حاجة ملحة لفهم التنوع اللغوي والثقافي الذي يميز المجتمعات البشرية، ويسهم في الحفاظ على التراث اللغوي المهدد بالاندثار في ظل العولمة والتحولات الاجتماعية المتسارعة. كما تزداد أهميته في السياق العربي خاصة، حيث تمتد اللغة العربية على رقعة جغرافية شاسعة، وتتنوع لهجاتها بتنوع بيئاتها، وتتفاعل مع لغات أخرى متعددة، مما يجعل دراسة توزعها المكاني وتنوعها اللهجي مسألة علمية وحضارية بالغة الأهمية، تتصل بجذور الأمة وهويتها ومستقبلها اللغوي.

وقد حظي هذا الحقل المعرفي باهتمام الباحثين والمؤسسات الأكاديمية في العديد من دول العالم، فأُنجزت أطالس لغوية وطنية وإقليمية شاملة للغات كثيرة، كالأطلس اللغوي لفرنسا الذي أنجزه جول جيلييرون وإدمون إدمون بين عامي 1902 و1915، والأطلس اللغوي لألمانيا الذي بدأه جورج ونكر في سبعينيات القرن التاسع عشر، وأطالس لغوية أخرى في سويسرا والسويد والنرويج وإيطاليا وبريطانيا والولايات المتحدة. غير أن اللغة العربية لم تحظَ بنصيب وافر

من هذا الاهتمام حتى وقت متأخر نسبياً، رغم غنى تراثها اللغوي وتنوع لهجاتها وعُمق تاريخها، ورغم الإشارات المبكرة التي أطلقها المستشرقون واللغويون العرب حول ضرورة إنجاز أطلس لغوي عربي، كما نبه إلى ذلك العالم السويسري شتيجر منذ منتصف القرن العشرين.

وعليه، تتحدد إشكالية البحث في التساؤلات الرئيسة التالية: ما مفهوم اللسانيات الجغرافية، وما علاقتها بالأطلس اللغوي؟ وما أبرز القضايا والموضوعات التي يبحث فيها هذا الحقل المعرفي؟ وما المناهج والطرائق المتبعة في إعداد الأطالس اللغوية، وما الفروق بينها؟ وما الأهمية العلمية والعملية للأطلس اللغوي في الدراسات اللغوية المعاصرة؟ وإلى أي مدى يمكن القول إن لهذا التوجه جذوراً في التراث اللغوي العربي القديم؟ وما الآفاق المستقبلية التي تفتحها التقنيات الحديثة أمام هذا الحقل المعرفي، خاصة في ظل الثورة الرقمية وتطور نظم المعلومات الجغرافية والذكاء الاصطناعي؟ وهل يمكن للمؤسسات الأكاديمية العربية أن تضطلع بدور ريادي في إنجاز أطالس لغوية عربية شاملة تخدم اللغة العربية وهويتها، وتسهم في تطوير البحث اللساني العربي؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات، اعتمدت الدراسة على منهجية متكاملة، تبدأ بالمنهج الوصفي الذي يقوم على رصد الظواهر اللغوية الجغرافية ووصفها بدقة، وتصنيفها ضمن سياقاتها المكانية والزمانية. وتستعين بالمنهج التحليلي لتفكيك المكونات المختلفة لهذه الظواهر وكشف العلاقات والأنماط الكامنة وراءها، وتفسيرها في ضوء الأسس النظرية والمنهجية للسانيات الجغرافية. كما تستفيد من المنهج التاريخي لتتبع نشأة هذا الحقل المعرفي وتطوره عبر الزمن، واستجلاء جذوره في التراث اللغوي العربي القديم، ورصد المراحل المختلفة التي قطعها منذ

بداياته المبكرة في أواخر القرن التاسع عشر إلى وضعه الراهن. إضافة إلى ذلك، توظف الدراسة المنهج المقارن للمقارنة بين المناهج المختلفة في إعداد الأطالس اللغوية، خاصة الطريقتين الألمانية والفرنسية، والكشف عن مزايا كل منهما وحدودهما.

وتتنوع أهداف هذه الدراسة لتشمل جوانب نظرية وتطبيقية متعددة، فأما على المستوى النظري، فإنها تهدف إلى تقديم إطار معرفي شامل للسانيات الجغرافية والأطلس اللغوي، من خلال تحديد المفاهيم الأساسية المؤسسة لهذا الحقل، واستعراض أبرز النظريات والمقاربات التي تناولته، وتحليل المناهج المتبعة في جمع البيانات اللغوية المكانية وتصنيفها وتمثيلها خرائطياً. كما تهدف إلى الكشف عن العلاقة الوثيقة بين هذا الحقل وحقول معرفية مجاورة كاللسانيات الاجتماعية واللسانيات التاريخية وعلم اللهجات وعلم الاجتماع والجغرافيا البشرية والأنثروبولوجيا، مما يسهم في ترسيخ مكانته ضمن منظومة العلوم الإنسانية المتكاملة.

أما على المستوى التطبيقي، فتهدف الدراسة إلى إبراز القيمة العلمية والعملية للأطالس اللغوية، بوصفها أداة فعالة لتوثيق التنوع اللغوي، ورصد التحولات اللغوية عبر الزمان والمكان، وتحديد حدود الظواهر اللغوية بدقة، ودراسة خصائص اللهجات ومقارنتها باللغة الفصحى، واستكشاف مسارات التطور اللغوي وأسباب التغير. كما تهدف إلى تسليط الضوء على الإمكانات الهائلة التي تتيحها التقنيات الحديثة، من نظم معلومات جغرافية وذكاء اصطناعي ورقمنة، في تطوير هذا الحقل وتحويل الأطالس الورقية التقليدية إلى منصات رقمية تفاعلية متطورة، تسمح بالبحث والتصفح والاستماع إلى التسجيلات الصوتية، وتحليل البيانات المكانية بطرق متقدمة.

وتكتسي هذه الدراسة أهمية خاصة في السياق الأكاديمي العربي، حيث تسد فجوة معرفية ملحوظة في المكتبة العربية، وتلفت الانتباه إلى ضرورة الاهتمام بهذا الحقل المعرفي الحيوي، وتشجع الباحثين والمؤسسات الأكاديمية العربية على الإسهام في إنجاز مشاريع أطالس لغوية عربية، تليق بمكانة اللغة العربية وتنوعها، وتسهم في خدمتها والحفاظ عليها، وتفتح آفاقاً جديدة للبحث اللساني في العالم العربي. كما تسهم الدراسة في الكشف عن الغنى الكامن في التراث اللغوي والجغرافي العربي، وتبيان أنه يشكل أرضية خصبة يمكن البناء عليها في الدراسات اللسانية الجغرافية المعاصرة، مما يعزز الاعتزاز بالهوية العربية ويربط الماضي بالحاضر في مسار علمي متصل.

وقد بنيت الدراسة على ثلاثة محاور رئيسة، يتناول أولها اللسانيات الجغرافية من حيث المفهوم والمصطلحات والقضايا، فيعرف الحقل ويوضح مصطلحاته المتعددة، ويستعرض أبرز القضايا التي يبحث فيها، وعلى رأسها التنوع الجغرافي وأسبابه، والمسح الجغرافي للغات، والعلاقة بين اللغة الأدبية واللهجات المحلية، ودور نظم المعلومات الجغرافية. ويتناول ثانيها الأطلس اللغوي من حيث المفهوم والمناهج والأهمية، فيعرفه ويعرض أنواعه المختلفة، ويحلل الطرق المتبعة في إعداده، ويبرز قيمته العلمية والعملية، مستشهداً بآراء العلماء والباحثين في هذا المجال. ويتناول ثالثها جذور اللسانيات الجغرافية والأطلس اللغوي في التراث العربي، مستعرضاً مظاهر هذا التوجه في أعمال اللغويين والجغرافيين والرحالة العرب القدماء، ومحللاً ما يمكن أن تقدمه هذه التراثات من إثراء للدراسات المعاصرة. وتنتهي الدراسة بخاتمة تلخص أهم النتائج المتوصل إليها، وتقدم مجموعة من التوصيات التي ترسم معالم طريق البحث المستقبلي في هذا الميدان.

2.اللسانيات الجغرافية: المفهوم والقضايا:

1.2. تعريف اللسانيات الجغرافية ومصطلحاتها:

تُعرّف اللسانيات الجغرافية بأنها دراسة التنوع في استعمال اللغة عند الأشخاص أو المجموعات من أصول جغرافية مختلفة، إذ تهتم بدراسة الفروق المحلية أو الإقليمية الخاصة بلغة ما. وهي التي تحدد اختلافات اللغات وفروقها في خرائط جغرافية، فبها يمكن معرفة حدود الظواهر اللغوية، سواء أكانت ظواهر صوتية أو ظواهر تتعلق باستعمال الألفاظ[1] .

ولما كانت الظواهر اللهجية تمثل واحدا من الموضوعات التي تستدعي تدخل هذا الصنف من الدراسات، كما فُعِلَ مع التمايز اللغوي للغة العربية في إطار التحديد الجغرافي لتواجد القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية، وكما تحدد الاختلاف اللهجي عند السومريين بين لهجة إيم–كو ولهجة إيم–صال في حدودهما الجغرافية، فإن اللسانيات الجغرافية هي التي تقف على هكذا تميز والذي يظهر في اللهجات ذات العلاقة مع محلياتها الاجتماعية والمكانية في الوقت نفسه. وإن كان يحلو لبعض الباحثين أن يجعل من اللسانيات الجغرافية مصطلحا يحيل على علم اللهجات، غير أن الأمر أوسع من ذلك بكثير، لأن علم اللهجات في حقيقته لا يمثل إلا أحد فروعها. وهذا ما وضحه عالم اللسانيات فرديناند دي سوسير حين تناول في كتابه "محاضرات في اللسانيات العامة" المجالات التي تدخل ضمن دائرة اللسانيات الجغرافية، ومنها: تنوع اللغات، والتعدد الجغرافي وتعايش اللغات، واللغات الأدبية واللهجات المحلية، وما إلى ذلك من عوامل تدخل ضمن دائرة التأثير والتأثر اللغوي[2].

إن المتتبع لما وُضِعَ من مصطلحات لتدل على هذا الحقل المعرفي، يجدها قد تعددت وتباينت وفقا لرؤية واضع الاصطلاح، ومنها: اللسانيات الجغرافية، والجغرافيا اللغوية، واللغويات الجغرافية، والجيولسانيات، وجغرافية

اللهجات. وإن كانت الدقة في الاصطلاح تبرز أن ثمة فروق دقيقة بين هذه المصطلحات، وهي بالأساس تعود إلى طبيعة مجالات الاهتمام، وبُؤَر الموضوعات المتناولة، وخصوصية المنهجية المتبعة. فبينما تهتم الجغرافيا اللغوية بتوزيع السمات اللغوية بوصفها فرعاً من فروع اللسانيات التاريخية، فإن الجيولسانيات تسعى إلى تفسيرات خارجة عن نطاق اللغة ذاتها، كتفسير كيفية توزع اللغات استناداً إلى السياقات البشرية والمادية.

2.2. التنوع الجغرافي وأسبابه:

لقد قفز العقل البشري قفزة نوعية منذ القديم في مجال التنوع الجغرافي، إذ يمكن الإحالة إلى ما أنجزه السومريون منذ ألفين وسبع مائة قبل الميلاد بتحديد التمايز اللهجي عندهم بناء على التنوع الجغرافي. ثم إن مسألة التنوع الجغرافي تُعد من أهم ما لاحظه علماء اللغة، وقد حدد هذا التنوع المراحل الأولى لبدايات البحث العلمي في اللغة، حتى عند الإغريق الذين لم يهتموا إلا بتنوع اللهجات الهيلينية، والسبب وراء ذلك راجع إلى أن اهتمامهم لم يتجاوز حدود بلاد الإغريق.

وقد شخص لنا علم اللغة الحديث تشخيصاً متعاقباً لعدد من الأسر اللغوية منها الهندوأوروبية، والسامية، والبانتو (وهي مجموعة لغات تتكلمها قبائل في جنوب إفريقيا لاسيما قبائل كافيربالي). وتوصل في ذلك إلى نقطة مهمة جداً مفادها أن التقارب الشامل بين اللغات أمر غير محتمل، وحتى إذا كان حقيقة كما يعتقد في ذلك اللغوي الإيطالي ترومبيتي، فلا يمكن البرهنة عليه. ومن هنا نخلص إلى أن مسألة "التعقيد في التنوع الجغرافي" ناجمة عن ظروف وعوامل عديدة يمكن تلخيصها فيما يلي:

أ- وجود عدد من اللغات معاً في نقطة جغرافية واحدة: إن التمازج والاختلاط العضوي الحقيقي بين لغتين يؤدي إلى تغيير في النظام اللغوي، ولنا في ذلك

نماذج دولية كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر ما حدث للإنجليزية بعد الغزو النورماندي. إضافة إلى أن الظرف السياسي يجعل من اللغات التي تعود في الأصل إلى مناطق جغرافية مختلفة، توجد ضمن حدود دولة واحدة، كما في سويسرا. ومن هنا يمكننا القول بإمكانية وجود لغتين في مكان واحد دون تمازجهما، كما قد يحدث ذلك مع أكثر من مجرد لغتين كما في الهند والصين وبعض دول إفريقيا كمالي ونيجيريا، إذ يتواجد في مالي وحدها ثلاث عشرة لغة متوزعة على جغرافيتها منها: البمبارية Bambara والفولانية Fulfulde والتماشقية Tamasheq والسوننكية Soninké والصنغاي Songoy والدوغون Dogon والمانينكية Malinké والسنوفو Sénoufo والمامارا Mamara والبوزوية Bozo والديولية Dyula والحسانية والعربية.

ب- اللغة الأدبية واللغة المحلية: المقصود باللغة الأدبية لغة الأدب فضلاً عن كونها لغة الثقافة على نحو عام، كما أنها اللغة الرسمية التي تخدم المجتمع بأكمله. ومن هنا فإن التأثر الناجم عن اختلاط لغة طبيعية بلغة أدبية، نظراً لسعي الأمة لبلوغ مرحلة من المدنية، سيطلق الحرية المطلقة للغة ويسمح لها أن تتشعب إلى لهجات. ولهذا السبب تتفرع اللغة عادة[3].

ج- المسح الجغرافي للغات: إن فكرة المسح الجغرافي ستعطينا فكرة واضحة وبينة عن حركة اللهجات العربية القديمة وعن تداخل هذه اللهجات بعضها مع بعض أو مع لغات أخرى. وتحصر مصنفات علوم القرآن الشهيرة مثل كتاب "الإتقان في علوم القرآن" و"المزهر في علوم اللغة وأنواعها" للإمام السيوطي، أو "لغات القبائل الواردة في القرآن" لأبي عبيد القاسم بن سلام "اللغات واللهجات العربية .. الواردة في القرآن الكريم بما يتراوح بين سبع لهجات أساسية إلى خمس وأربعين لهجة".[4]

وقد وثقت المعاجم العربية أيضا شيئا عن هذه الظاهرة، فلو عدنا مثلا إلى فهارس لسان العرب في حقل اللغات واللهجات سنرى أمراً عجيباً حول كثرة التداخل بين اللهجات واللغات القديمة. ومن هنا فإن من يقوم بعملية المسح الجغرافي والمرتبط بالبعد التاريخي لحركة القبائل ولغاتها ولهجاتها سيرى أن الجغرافيين والرحالة العرب قد قدموا تراثاً ضخماً يمكن الاعتماد عليه في هذا الميدان، لاسيما أنهم قد تحدثوا عن الأماكن وارتباط القبائل بها، ثم عن حركة القبائل المرتبطة بحركة اللهجات وكذا اللغات[5].

3.2.اللسانيات الجغرافية والتراث العربي:

لم تكن اللسانيات الجغرافية وليدة العصر الحديث فقط، بل يمكن تلمس جذورها في التراث اللغوي العربي. فالاهتمام بجمع المادة اللغوية من القبائل العربية المختلفة كان يقوم على أساس جغرافي واضح، محددا سلفا وفق الهدف والغاية، كتتبع الفصيح الصحيح، أو تصنيف المعرب والدخيل، كما يتجلى ذلك في أعمال الخليل بن أحمد وسيبويه والكسائي والفراء وغيرهم من اللغويين. فقد كان الكسائي رحالة في طلب اللغة، ووضع شروطاً لجمع اللغة الأصيلة تقوم على التمييز بين قبائل الجزيرة العربية الداخلية والقبائل المتاخمة لحدود الفرس والروم.

وتتمثل مظاهر الجغرافيا اللغوية في التراث العربي في عدة جوانب، منها: ظاهرة الاختلافات اللهجية التي أشار إليها اللغويون العرب القدماء، وتفاوتهم في قبول بعض القراءات القرآنية على أساس نسبتها إلى قبيلة معينة؛ وكتابة المعاجم الجغرافية، كمعجم "البلدان" لياقوت الحموي، الذي يقدم معلومات لغوية مقترنة بأسماء الأماكن؛ والكتابات الصوتية الوصفية التي كانت تصف مخارج الأصوات وطرق نطقها في مختلف المناطق.

ويحضرنا في هذا السياق نظرية "التقابل اللغوي" والتي أتت بها حلقة براغ في تركيزها على نقطة مهمة ومفادها أن اللغات تؤثر بعضها مع بعض عن طريق الاتصال الجغرافي والتاريخي، مما يجعلها تتطور بطرق متشابهة[6].

3.الأطلس اللغوي: المناهج والأهمية:

1.3.مفهوم الأطلس اللغوي وأنواعه:

الأطلس اللغوي هو فكرة ومنهجية وطريقة استدعتها التطورات المتسارعة الحاصلة في ميدان الدراسات اللغوية خاصة بعد ظهور اللسانيات الحديثة، والغاية منها "تسجيل الظواهر اللغوية على خرائط جغرافية، وذلك عند الحاجة إلى تحديد مناطق تلك الظواهر، وبذلك تأتي الخريطة كوسيلة إيضاح لظاهرة لغوية لها علاقة بمكان معين"[7].

إن اللسانيات الجغرافية في بداية ظهورها تميزت ببعض الخفوت، ولم تلق من التجاوب ما تستحق، ولم تستأثر بكثير من الاهتمام والدراسة لانشغال الباحثين بقضايا لسانية أخرى – ليس هذا مجال تناولها – وقد أشار إلى هذا عبد الصبور شاهين بقوله: "لم تحظَ بكثير من الأهمية إلا في السنوات الأخيرة، نظراً لوجود ظروف موضوعية حتمت ضرورة التوسع في بحوثها، ومن أهم هذه الظروف: تقدم وسائل الاتصال، وقرب المسافة إلى حد ممكن، وتحقق الكثير من أوجه التبادل الثقافي والتجاري، بحيث يصبح أي اضطراب سياسي في مكان لا يؤثر فقط في بلد واحد أو منطقة واحدة، وإنما ينعكس في مناطق بعيدة من العالم"[8].

وعلى هذا الأساس فاللسانيات الجغرافية تُعَد أداة يمكن الاعتماد عليها، والارتكاز على نتائجها في التمكين من توضيح موضع الحدود اللغوية وتحديدها للهجات المختلفة، و"بيان معالم كل لهجة، والتفريق بين اللغات في خرائط تسجل عليها

الظواهر اللغوية المختلفة التي توضح أدق الفروق في نطق الأصوات والمفردات، مع تبيان حدود التداخل بين اللهجات واللغات المختلفة"[9].

وتصنف الأطالس اللغوية وفق معايير متعددة، منها: الأطلس الوطني أو القومي الذي يغطي أراضي دولة واحدة؛ والأطلس الإقليمي الذي يقتصر على منطقة جغرافية محددة داخل دولة ما؛ والأطلس الموضوعي الذي يركز على جانب لغوي معين، كالأطلس المعجمي أو الأطلس الصوتي؛ والأطلس المتعدد اللغات الذي يشمل عدة لغات في إطار جغرافي واحد.

2.3. مناهج إعداد الأطلس اللغوي:

هناك طريقتان أساسيتان لعمل الأطلس اللغوي، وهما:

أ- الطريقة الألمانية: والتي قد ابتكرها ونفذها العالم فنكر، وخلاصتها: أنه ألف أربعين جملة تمثل أهم ما يجري على ألسنة الناس كل يوم في بلاده، وقد طبعها على شكل استمارة ببيانات خاصة. وتتميز هذه الطريقة بقدرتها على تغطية مساحات جغرافية شاسعة بتكلفة أقل، غير أن عيبها الرئيسي يكمن في عدم قدرتها على التقاط التفاصيل الصوتية الدقيقة بسبب غياب الباحث الميداني.

ب- الطريقة الفرنسية: وهي الطريقة السائدة في عمل الأطلس، وخلاصتها: أن تعمل خريطة للإقليم المراد عمل أطلس عليه، وتنتخب منه قرى وبلاد يشترط أن تمثل إلى حد ما البيئة اللغوية التي توجد بها البلدة أو القرية، وقد بلغ مجموع هذه البلاد في أطلس إيطاليا حوالي أربعمئة بلدة. وتتميز هذه الطريقة بدقتها العالية وقدرتها على توثيق النطق الفعلي، غير أن عيبها يتمثل في الجهد الكبير والتكلفة المرتفعة.

ففكرة عمل الأطالس هي فكرة مأخوذة من علم الجغرافيا، بالإضافة إلى طرق الجغرافيا في تحديد موضع الحدود اللغوية للهجات المختلفة، زد على ذلك

تبيان معالم كل لهجة، والتفريق بين اللغات في خرائط مسجلة عليها الظواهر اللغوية المختلفة والتي توضح أدق الفروق في نطق الأصوات والمفردات، وتبيان حدود التداخل بين اللهجات واللغات المختلفة.

3.3. أهمية الأطلس اللغوي:

إن ما سبق يبرز الأهمية القصوى للأطلس اللغوي في دراسة المفردات بشكل مستفيض من حيث البناء والمفردات المتعددة له بتعدد المناطق، واختلاف الألفاظ باختلاف الأقاليم اللغوية ومدى انتشارها. كما أن الأطالس اللغوية قد أفادت وبشكل كبير في دراسة خصائص اللهجات المختلفة ومقارنتها باللغة الفصحى، وكذا توضيح التباين بينهما من حيث الصوت والبنية والدلالة والتكوين أو ما يطلق عليه بالتركيب، بالإضافة إلى دراسة كل ما يطرأ على اللهجات واللغات من تغيرات عبر مراحل زمنية مختلفة.

لقد أبان **شتيجر** (Steiger) العالم السويسري والذي أولى لهذا الموضوع عناية خاصة، بين قيمة الأطلس اللغوي وأهميته في اللغة العربية بقوله:

"وبالنسبة للغة العربية نقول: إن القيام بعمل أطلس لغوي لها سيحدث ثورة في كل الدراسات الخاصة بفقه اللغات السامية، لأنه سيكمل من غير شك الدراسات التي تعتمد على النصوص القديمة بكشفه عن التطورات المتعلقة باللهجات وباللغات الشعبية العصرية، وسيكون لهذا الأطلس الفضل في اطلاعنا على تاريخ علم الأصوات والتغيرات التي أصابت اللغة العربية في الأماكن المختلفة التي غزتها، وعن مدى انتشارها وتأثرها بالمراكز الثقافية وتنوع مفرداتها، إلى غير ذلك من المكتشفات التي لا يمكن أن تتم إلا إذا جمعت هذه المواد، إنه سيكون عملاً ثقافياً من الطراز الأول وسيكون تحقيقه عنوان مجد وفخار في تاريخ الثقافة العالمية"[10].

ومن هنا يمكننا اعتبار الأطلس اللغوي بمثابة أداة فعالة تستقطب كَمّاً هائلاً من المعلومات عن سكان أو متحدثي أي لغة وفي أية منطقة تتواجد، من أجل التخطيط في ضبط التعليم والتعلم السليم للنظم اللغوية حسب موقع انتشارها، لغة كانت أو لهجة.

كما أن انجاز الأطالس اللغوية يفيد لا محالة في دراسة الكلمات والألفاظ والمعجمات المفرداتية للشعوب بشكل مستفيض "من حيث البناء والمفردات المتعددة له بتعدد المناطق، واختلاف الألفاظ باختلاف الأقاليم اللغوية ومدى انتشارها. كما تفيد في دراسة خصائص اللهجات المختلفة ومقارنتها باللغة الفصحى، والتباين بينهما من حيث الصوت والبنية والدلالة والتكوين أو التركيب، ودراسة كل ما يطرأ على اللهجات واللغات من تغيرات عبر مراحل زمنية مختلفة"[11].

من هذا يمكن الخلاص إلى أن الاهتمام المتزايد بميدان اللهجات قد ساعد في تبلور علم جديد في إطار سياج يحيط به من المصطلحات والمناهج والتطبيقات، وأوصل إلى أن يتولد من "علم اللسانيات الجغرافية ما يسمى بعلم اللهجات أو ما عرف بعلم جغرافية اللهجات، وهو ميدان اهتمت به أوروبا والولايات المتحدة منذ القرن التاسع عشر الميلادي"[12].

كما تسهم الأطالس اللغوية في دراسة الثقافة السائدة وتطورها عبر عصور مختلفة، بوصف اللغة وما يتصل بها من لهجات مختلفة أداة للتواصل الإنساني، وبذلك فهي لا تنطوي على فوائد لغوية فحسب، بل إنها تفيد المؤرخين وعلماء النفس والاجتماع والأنثروبولوجيا على حد سواء. كما تفيد هذه الأطالس اللغوية أيضا اللغات في استكمال الحلقات المفقودة في دراسة حياة اللغات واللهجات وتطورها، والتغيرات التي طرأت عليها ومدى اختلاطها بغيرها من اللغات واللهجات[13].

واستخلاصا لما سبق وبناء عليه يمكن القول بأن الأطلس اللغوي هو انجاز عملي تنظيري وتطبيقي في آن واحد، ويمكن اعتباره مسحا جغرافيا "للغات واللهجات المختلفة ومناطق انتشارها وحدود كل منها. وقد نالت فكرة عمل الأطالس اللغوية استحسان عدد كبير من علماء الدراسات اللسانية، فكثر تداولها حيث انتقلت إلى إيطاليا، وسويسرا، والسويد، والنرويج، والبرتغال، وإنجلترا، والولايات المتحدة الأمريكية، وبعض البلدان الشرقية"[14].

4.الخاتمة:

في ختام هذه الدراسة المتواضعة، يمكن القول إن اللسانيات الجغرافية والأطلس اللغوي يمثلان حقلين معرفيين متكاملين، يقعان عند ملتقى عدة تخصصات علمية، تجمع بين علم اللغة وعلم الجغرافيا وعلم الاجتماع وعلم التاريخ والأنثروبولوجيا، مما يمنحهما طابعاً تعددياً وتكاملياً فريداً، ويفتح آفاقاً واسعة للبحث والتنقيب في أعماق الظاهرة اللغوية من منظور مكاني لم تحظَ بالأولوية الكافية في الدراسات اللسانية التقليدية.

لقد تبين من خلال هذه الدراسة أن اللغة ليست مجرد نظام مجرد من القواعد والأصوات والمفردات، بل هي كائن حي نابض بالحياة، يتفاعل باستمرار مع محيطه الجغرافي والاجتماعي والثقافي، ويتشكل وفقاً لظروف الزمان والمكان، ويعكس في طياته تاريخ المجتمعات وحركة الشعوب وتفاعلاتها الحضارية. فاللسانيات الجغرافية ترصد أحد أهم هذه الظروف المؤثرة في اللغة، وهو العامل الجغرافي، سواء أكان ذلك في صورة أنظمة لغوية مختلفة تتعايش ضمن محيط مكاني واحد، أو لغة واحدة تتخطى حدود الناطقين بها فتتوسع وتتطور وتتنوع بتعدد مواقع انتشارها.

وقد وقفت الدراسة على حقيقة أساسية مفادها أن التنوع الجغرافي في الحقل اللساني لا ينشأ من فراغ، بل هو نتاج لظروف وعوامل متشابكة ومتداخلة، من أبرزها: وجود عدد من اللغات في بقعة جغرافية واحدة نتيجة للغزوات والهجرات والتبادل التجاري والثقافي؛ والعلاقة الجدلية بين اللغة الأدبية بوصفها لغة رسمية وثقافية موحدة، واللهجات المحلية بوصفها تعبيراً حياً عن التنوع الثقافي والاجتماعي للمجتمعات؛ وأثر المسح الجغرافي للغات في الكشف عن حركة اللهجات عبر الزمان والمكان؛ ودور التخطيط اللغوي في توجيه استعمالات اللغة في المجتمع؛ وأخيراً الثورة التي أحدثتها نظم المعلومات الجغرافية في تحليل البيانات اللغوية المكانية وعرضها بطرق تفاعلية متطورة. فكل هذه العوامل مجتمعة تجعل من النظام اللغوي ظاهرة إنسانية متغيرة باستمرار، لا تخضع للثبات المطلق، وصعبة الدراسة في بعض جوانبها، وغير مستقرة في استعمالاتها اليومية، وهو ما يزيد من أهمية البحث اللساني الجغرافي في فهم آليات هذه التغيرات وضبطها.

أما الأطلس اللغوي، فقد أبانت الدراسة أنه ليس مجرد مجموعة خرائط جافة ترسم الحدود اللغوية، بل هو مشروع علمي حضاري متكامل، يمثل أداة فعالة لتسجيل الظواهر اللغوية على خرائط جغرافية دقيقة، وتحديد مناطق انتشارها وتعيين حدودها، ورصد التفاعل بين الظواهر اللغوية المختلفة، وتوثيق التنوع اللغوي واللهجي في أبعاده المكانية والزمانية والاجتماعية. فهو الوسيلة المثلى لرصد التحولات الدقيقة في نطق الأصوات وبنية المفردات وتركيب الجمل، وبيان حدود التداخل بين اللهجات واللغات المختلفة، وكشف العلاقات التأثيرية بين المناطق اللغوية المتجاورة.

وقد أبرزت الدراسة الأهمية القصوى للأطلس اللغوي في دراسة المفردات بشكل مستفيض، من حيث بنائها الصرفي وتعدد دلالاتها باختلاف

المناطق، واختلاف الألفاظ للمسميات ذاتها بتباين الأقاليم اللغوية، ومدى انتشار الظواهر اللغوية وتأثرها بالمراكز الثقافية والسياسية. كما أفادت الأطالس اللغوية في دراسة خصائص اللهجات المختلفة ومقارنتها باللغة الفصحى، وتوضيح أوجه التباين بينهما من حيث المستويات الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، ودراسة كل ما يطرأ على اللهجات واللغات من تغيرات عبر المراحل الزمنية المختلفة، مما يجعلها مرجعاً أساسياً للمؤرخين وعلماء الاجتماع وعلماء النفس والأنثروبولوجيا، كما تنطوي على فوائد تطبيقية كبيرة في مجالات التعليم والتخطيط اللغوي والذكاء الاصطناعي، فضلاً عن قيمتها في الحفاظ على التراث اللغوي المهدد بالاندثار، واستكمال الحلقات المفقودة في دراسة حياة اللغات وتطورها التاريخي.

من ناحية أخرى، أسفرت الدراسة عن نتيجة بالغة الأهمية، وهي أن جذور اللسانيات الجغرافية والأطلس اللغوي ليست وليدة العصر الحديث فحسب، بل يمكن تلمسها بوضوح في التراث اللغوي والجغرافي العربي القديم، حيث كان اهتمام اللغويين العرب بجمع المادة اللغوية من القبائل المختلفة يقوم على أساس جغرافي واضح، وكان الكسائي من أبرز من جسد هذا المنحى إذ كان رحالة في طلب اللغة، ووضع شروطاً دقيقة لجمع اللغة الأصيلة تقوم على التمييز بين قبائل الجزيرة العربية الداخلية والقبائل المتاخمة لحدود الفرس والروم. كما برزت مظاهر الجغرافيا اللغوية في ظاهرة الاختلافات اللهجية التي أشار إليها اللغويون القدماء وتفاوتهم في قبول بعض القراءات القرآنية على أساس نسبتها إلى قبيلة معينة، وفي كتابة المعاجم الجغرافية كمعجم "البلدان" لياقوت الحموي، وفي الكتابات الصوتية الوصفية التي كانت تصف مخارج الأصوات وطرق نطقها في مختلف المناطق، وفي مؤلفات الجغرافيين والرحالة العرب التي دوّنت لغات القبائل ولهجاتها وربطتها بأماكنها. وهذا التراث الغني يمثل رصيداً ثميناً يمكن البناء عليه في الدراسات

اللسانية الجغرافية المعاصرة، مع ضرورة توظيف المناهج الحديثة والتقنيات المتطورة في تحليله وتوظيفه.

كما لا تفوتني الإشارة إلى ما أبان به العالم السويسري شتيجر من أهمية الأطلس اللغوي للغة العربية، حيث اعتبر أن القيام بعمل أطلس لغوي للعربية سيحدث ثورة في كل الدراسات الخاصة بفقه اللغات السامية، وسيكمل الدراسات التي تعتمد على النصوص القديمة، ويكشف عن التطورات المتعلقة باللهجات واللغات الشعبية العصرية، وسيكون له الفضل في الاطلاع على تاريخ علم الأصوات والتغيرات التي أصابت اللغة العربية في الأماكن المختلفة، وعن مدى انتشارها وتأثرها بالمراكز الثقافية وتنوع مفرداتها. وقد نالت فكرة عمل الأطالس اللغوية استحسان عدد كبير من علماء الدراسات اللسانية في مختلف أنحاء العالم، فكثر تداولها وانتقلت إلى إيطاليا وسويسرا والسويد والنرويج والبرتغال وإنجلترا والولايات المتحدة الأمريكية وبعض البلدان الشرقية، مما يدل على عالمية هذا المشروع المعرفي واتساع آفاقه.

وختاماً، يمكن القول إن هذا الحقل المعرفي يشهد في العقود الأخيرة نقلة نوعية غير مسبوقة، بفضل التطورات الهائلة في تقنيات المعلومات والاتصال، وعلى رأسها نظم المعلومات الجغرافية التي تتيح ربط المعلومات مكانياً مع إمكانية التحليل المكاني للقدر الهائل من البيانات اللغوية، والذكاء الاصطناعي الذي يمكن من معالجة كميات ضخمة من المواد اللغوية واستخراج الأنماط والعلاقات، والأطالس الرقمية التفاعلية التي تمكن الباحثين والمستخدمين من الوصول إلى البيانات اللغوية واستكشافها بطرق مبتكرة. وهذه الأدوات الحديثة تفتح آفاقاً واسعة أمام الباحثين لإنشاء أطالس لغوية عربية شاملة، تُعنى بدراسة اللهجات العربية المعاصرة وربطها بجذورها التاريخية، وتوثيق التنوع اللغوي الهائل في العالم

العربي، والحفاظ على التراث اللغوي المهدد بالانقراض، وتقديم قاعدة بيانات لغوية ضخمة تخدم مختلف الباحثين والمخططين وصناع القرار، وتسهم في تطوير التعليم والترجمة الآلية ومعالجة اللغة الطبيعية، وفي تعزيز الهوية الثقافية العربية ومواكبة متطلبات العصر الرقمي. وإننا إذ نضع هذه التوصيات بين يدي الباحثين والمؤسسات المعنية، فإننا نأمل أن تجد طريقها إلى التنفيذ، بما يسهم في إثراء البحث اللساني العربي، ورفد المكتبة العربية بأعمال علمية رائدة في هذا الميدان الحيوي.

5. المراجع:

[1] مبارك مبارك، معجم المصطلحات الألسنية فرنسي إنجليزي عربي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995، ص120.

[2] فرديناد دي سوسير، محاضرات في اللسانيات العامة، ترجمة صالح القرمادي، الدار العربية للكتاب، 1985م، ص285-315.

[3] المرجع نفسه، ص218.

[4] جلال الدين السيوطي، ا الإتقان في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، 1974، ج 2، ص 105. وينظر: السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار الفكر، مج 1، ص 209،

[5] مازن عوض الوعر، "التفكير اللغوي عند الجغرافيين والرحالة العرب في ضوء اللسانيات الجغرافية المعاصرة"، مجلة التراث العربي، العدد 104، دمشق، 1427هـ/2006م، ص194.

[6] التواتي بن التواتي، مفاهيم في علم اللسانيات، دار الوعي، ط2، 2003، ص41

[7] عبد الفتاح عفيفي، علم الاجتماعي اللغوي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995، ص195. وينظر: عبد العزيز بن حميد الحميد، علم اللغة الجغرافي بين حداثة المصطلح وأصوله لدى العرب، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، جامعة القصيم، السعودية، المجلد6، العدد2، 2013، ص 679

[8] عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط5، 1408هـ-1988م، ص139.

[9] عبد الفتاح عفيفي، المرجع السابق، ص195.

[10] خليل محمود عساكر، "الأطلس اللّغوي"، مجلة المجمع، الجزء السابع، 1949م، ص379-384.

[11]عبد الفتاح عفيفي، علم الاجتماع اللغوي، مرجع سابق، ص195 .

[12] هدسون، علم اللغة الاجتماعي، ترجمة محمود عياد، عالم الكتب القاهرة، ط2، 1990م، ص66.

[13] عبد الصبور شاهين، دراسات لغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1406هـ-1986م، ص226.

[14] عبد الفتاح عفيفي، علم الاجتماع اللغوي، مرجع سابق، ص196.